النبر والتنغيم وعلاقته بالاستلزام الحواري
كتاب بلاغات النساء انموذجاً

الاستاذ الدكتور
ميثاق عباس زغير الخفاجي
جامعة الكوفة ـ كلية التربية للبنات

المدرس المساعد
زينب صادق جعفر

النبر والتنغيم وعلاقته بالاستلزام الحواري كتاب بلاغات النساء انموذجاً

Stress and intonation and its relationship to conversational imperative the book of women's reports as a model

الاستاذ الدكتور
ميثاق عباس زغير الخفاجي
جامعة الكوفة ـ كلية التربية للبنات

Assistant Prof.
Methaq Abbas Zghair
University of Kufa/ College of education for Girls
mithaga.alkhafaji@uokfa.eduig

المدرس المساعد
زينب صادق جعفر

Researcher
Zainab Sadiq Jafar
zainabs.aleutawi@student.uokfa.edu.iq

المقدِّمة:

تهدف هذه الدراسة إلى أهمية النبر والتنغيم وعلاقتهما بالاستلزام الحواري ، فكلاهما ظاهرة صوتية لهما أهمية كبيرة في بيان قصد المتكلم ووضوح المعنى المراد ،وبما إن النبر ناشئ عن التفاوت في الارتكاز على مقطع صوتي واحد دون غيره ، والتنغيم حاصل عن الاختلاف في درجة الصوت وتوتره ،إذن فكلاهما يلعب دوراً كبيراً في اختلاف المعنى، لكونهما احد عناصر السياق المؤثرة على النص وظروفه،وان النصوص المنتقاة من كتاب بلاغات النساء لم يكن اختيارها لغرض التنويع في الخطاب ، وإنما قد تم توظيفها بقصد توضيح الدلالة وبيان المعنى المستلزم من الحوار ،ولكي تكون نتائج الدراسة دقيقة فضّل البحث أن يكون حاملاً لهذا العنوان ، حتى يتم الكشف عن الدلالات الضمنية الواردة خلف الحوار .

الكلمات المفتاحية: النبر ، التنغيم، الحوار ، الاستلزام ، المعنى ، السياق ، الدلالة، العلاقة

Abstract

Atone and musical and it is relation ship with dialogue reguire

Women 's communication book as a model

This study aims to impotance of and musical and its relationship with dialogue

variety indilogue,and there fore it might be concluded it is function to clarify the meaning and show the meaning from dilogue.

Inorder to the study resuilts be accurrate,the search believes to carry this title . so as to accomplish the statement about implicit sinificance behind the dialogue.

Key words: Accent, toning, dialogue, entailing, meaning, context, significance, relationship

reguier ,both of them are phonie phenomenon,they have abig ibportance to appear the purpose of the speaker and clarify the meaning.

Where as atone is stemming from the vary in reston one syllable,atone is occurring from different in degree of asound and it is tension ,so both of them play ahuge role in the different in meaning,because they are considered one of the important context element on te xt and it is condition.

Inorder to the best text from the book of al-nasa'a blaghat isnt it is choise to

التمهيد:

يعدُّ الاستلزام الحواري(Dialogue necessity) من أهم جوانب الدرس التداولي ، فمحور بحثه يدور حول المقارنة بين المعنى المباشر والمعنى غير المباشر، فما يقال هو المعنى الصريح ، وما يقصد هو المعنى المستلزم من الحوار، وقد ظهرت له مقاربات فكرية عند النحويين والبلاغيين والأصوليين، ولكن ظهوره بصورةٍ واضحةٍ عند الغربيين ولاسيما غرايس إذ وضحه بقوله:"إنَّ الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون ، وقد يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون"[١].

وصاحبهُ "هو أحمد بن طيفور (أبي طاهر)الخراساني، أبو الفضل : مؤرخ ، من الكتاب البلغاء الرواة "[٢] ، وهو من أسرة إيرانية الأصل ،عُرِف بابن طيفور ، وهو اسم والده ولد عام (ت٢٠٤ هـ) في بغداد وترعرع فيها، زاول مهنة التأديب[٣] تميز بأخلاقه الفاضلة [٤] توفي عام (٢٨٠هـ) ودفن في بغداد، له مؤلفات عدة وما وصل ألينا منها هو ثلاثة أجزاء من كتاب (المنظوم والمنثور) وجزء واحد من كتاب بغداد ، ويعدّ كتاب بلاغات النساء الجزء الأصغر من المنثور والمنظوم .

وإنَّ هذا الكتاب من أهم المؤلفات التي اهتمت بفصاحة المرأة وبلاغتها وأدبها، ويبدو ذلك جلياً عن طريق أسلوب حوارها الوارد في الخطب، إذ يمثل هذا الكتاب الجزء الأصغر من كتاب (المنظوم والمنثور) [٥]ويتضمن العديد من

المختارات الأدبية المتنوعة في شتى المجالات، لما لها من أثرٍ كبيرٍ في بث الثقافة العربية والوعي القومي للمرأة أولاً، ولأنها تمثل التراث العربي الأصيل ثانياً.

-النبر والتنغيم

ورد النبر في اللغة العربية بمعنى الارتفاع والعلو فقيل فيه :"نبر: النون والباء والراء أَصلٌ يدلُّ على رفعٌ وعُلُوّ، ونبر الغُلام: صاح – أَول ما يترعرع– ورجلٌ نبارٌ فصيحٌ جهير، وسمِّي المنبر، لإنه مرتفعٌ ويُرفع الصَّوتْ عليه، والنبرُ في الكلام: الهمزُ قريبٌ منه، وكُلّ من رفع شيئاً فقد نبرهُ"[٦].

وحدد ابن منظور معنى النبر بالهمز فقال: " وكل شيء رفع شيئاً، فقد نَبَره، والنَبْرُ: مَصْدَرُ نَبَر الحَرْفَ ينْبَره نَبْراً هَمَزه" [٧].

إذن فالنبر يكون دالاً على الهمز، وفي الأصوات يكون دالاً على الصوت وارتفاعه.

وعُرِّف في الاصطلاح بتعريفات عدّة منها: تعريف كمال بشر القائل فيه: هو " نطق مقطع من مقاطع الكلمة بصورةٍ أوضح وأَجلى نسبياً من بقية المقاطع التي تجاوره... ، ويتطلب النبر عادةً بذل طاقة في النطق أَكبر نسبياً، كما يتطلب من أعضاء النطق مجهوداً أشد" [٨].

أما الدكتور تمّام حسّان فعرفهُ ،بأنه: " وضوحٌ نسبي لصوت أو مقطع، إذا ما قورن ببقية الأصوات والمقاطع في الكلام، ويتكون نتيجة عامل أو أكثر من عوامل الكمية، والضغط والتنغيم " [٩].

ومجمل هذه التعريفات تؤكد بأن التفاوت الحاصل في الارتكاز على مقطع واحد دون غيره يجعله أكثر تمييزاً من بقية المقاطع الأُخرى، أما إذا كان التفاوت في الارتكاز على المقاطع متساوٍ لوجدنا أن الوضوح السمعي كان متساوياً أيضاً، فيتحدد النبر عن طريق الارتكاز على موضع معين[١٠].

ويتبيّن لنا مما تقدّم بأن النبر هو نشاط ذاتي للمتكلم وإنَّ غرض المتكلِّم وغايته هو الركيزة الأساسية المعتمد عليها في الحكم على النَبْر؛لإنَّه" حالة نسبية وليست حالة مطلقة"[١١].

-أنواع النبر:

ينقسم النبر في اللغة العربية إلى قسمين هما: (نبر الكلمة، نبر الجملة).

فنبر الكلمة هو (النبر الصرفي): ويراد به " الضغط النسبي على مقطع من مقاطع الكلمة وإبرازه تمييزاً عن غيره " [١٢]، ويقسَّم هذا النوع بحسب قوتهِ وضعفهِ على قسمين هما: (النبر الأولي، والنبر الثانوي).

و " النبر الأولي يكون في كلِّ كلمةٍ، أَمَّا الثانوي فيكون في الكلمات التي تشتمل على عدد من المقاطع يجعلها في وزن كلمتين مثل كلمة ((استغفار))، فإنَّها تشتمل على نبر أولي على المقطع ((فا)) وآخر ثانوي على المقطع ((تغ)) " [١٣].

يتضح من هذا الكلام بأن النبر الأولي يكون في كلِّ كلمة، أما الثانوي فيكون في الكلمات المشتملة على أكثر من مقطع.

وإن سبب تسمِّية الدكتور تمّام حسّان للنبر الأولي بهذا الاسم يكون مرده إلى قوته مقارنةً بالنبر الثانوي(١٤).

أما سبب تسمِّيته للنبر الثانوي بهذا الاسم فيكون مرجعه إلى ضيق المجال في الكلمة، ولهذا السبب فهو يوجد في الكلمات المركبة من أكثر من مقطع(١٥)، وقد وظَّف الدكتور تمّام حسّان شواهد كثيرة لهذا النوع من النبر (النبر الصرفي)(١٦).

أما في ميدان تطبيقنا فلا نعمد إلى هذا النوع من النبر، لإنهُ يختص بالكلمة فقط، ونحن نسعى إلى النوع الثاني من النبر وهو (نبر الجملة أو النبر السياقي)؛ لأنَّه متعلقٌ بتغيير الدلالة أو السياق من المعنى الصريح إلى المعنى الضمني.

ومن أهم الشواهد التي جاءت بشأن هذا النوع من النبر ما ذكرهُ الدكتور إبراهيم أَنيس نحو: هل سافر أخوك أمس؟ فالاختلاف في زيادة النبر يكون مرده إلى الاختلاف في القصد من هذه الجملة، فكان النبر في الجملة الأولى على كلمة سافر؛ لإنَّ المتكلِّم كان متردداً في أَمر أَخيه بشأَن السفر وهكذا(١٧)، ويكون هذا النوع من النبر مقاربًا للتنغيم.

ويقارن الدكتور تمّام حسّان بين النبر الصرفي والنبر السياقي قائلًا " ونبر السياق مستقل عن نبر الصيغة الصرفية– ولو أنه يتفق معه في مواضع أحياناً، والفرق بين الدلالي والصرفي، أو نبر السياق ونبر الصيغة ، أن نبر السياق يمكن وصفه على عكس نبر الصيغة بانه إما أن يكون تأكيدياً، وإمّا أن يكون تقريرياً، ويمكن تلخيص الفرق بين التأَكيدي والتقريري في نقطتين أولاً: أَن دفعة الهواء في النبر التأَكيدي أقوى منها في التقريري، والأُخرى أنَّ الصوت أعلى في التأكيدي منه في التقريري ، وأيَّ مقطع في المجموعة الكلامية، سواء أكان في وسطها أم آخرها، صالح لأَن يقع عليه هذا النوع من النبر، والمسافة بين أي حالتي نبر في المجموعة الكلامية سواء أكان كلامها أولياً أم ثانوياً مختلفاً، لا تتعدى أربعة مقاطع"(١٨).

ومن أهم الشواهد التي وردت في ما يخصّ النبر السياقي هو ما دار من حوارٍ بين امرأة من كنانة ومعاوية، إذ قال لها: "**فهل عندكِ من قِرّى ؟ قالت : نَعَمْ، خبزُ فطيرٍ، ولبن يميرُ، وحَيْسِ خميرٍ، وماء هجيرٍ** " (١٩).

الحوار: قال لها: "فهل عندكِ من قِرّى ؟ قالت : نَعَمْ، خبزُ فطيرٍ، ولبن يمير(٢٠)، وحَيْسِ(٢١) خميرٍ، وماء هجيرٍ(٢٢).

ويتألف مقتضى الكلام في هذا الحوار من ثلاثة مستويات، المستوى الأول (المتكلم) وهو معاوية، ولا يوجد في الكلام من ضمير يشير إليه،

والمستوى الثاني (المخاطب) هي امرأةً من كنانة، والضمير الذي يشير إليها هو الكاف في (عندكِ)، أما المستوى الثالث فهو (القصد التواصلي) ويكون متمثلاً بالكلام الموجه من المتكلِّم إلى المخاطب وفق سياق معين، والسياق الوارد يكون دالاً على ما يكرم به الضيف من لبن ذائب، وخبزةٍ طهية لم يكتمل اختمارها، وماء هجر في قدحٍ عظيمٍ.

وإنَّ الدلالة الصريحة لهذا الخطاب تتألف من المحتوى القضوي الناتج من ضم المفردات(وهو التأكيد على إكرام المرأة الكنانية لضيفها) بعضها إلى بعض ،ومن القوة الإنجازية الحرفية المتمثلة بصيغة الإخبار.

أما الدلالة الضمنية فتتكون من الاقتضاء والاستلزام الحواري، فالاقتضاء هو (اقتضاء وجوب التقديم لأمرٍ ما).

أمّا الاستلزام الحواري فهو ما تمثل وجوده في هذا الحوار بأسلوب النبر ولا سيما في كلمة (قِرَى)، فالكلمة تتكون من المقاطع الآتية (قِ/ رّى)، إذ إنَّ اختلاف الغرض من هذه الكلمة يؤدي إلى زيادة النبر أو ضغطه، فعندما سألها معاوية (هل عندك من قرى؟)[٢٣]، فأجابت نعم، فالمرأة بهذهِ الإجابة قد أكدت الكلام، فوقع النبر لغايةٍ وقصدٍ وهو أبراز صيغة السؤال أو التأكيد على السؤال عن وجود القرى ، كما بيناهُ سابقاً وهو إكرام الضيف بدليل أن المخاطبة أجابت بتعداد أنواع الطعام الذي عندها ، فالقاعدة التي خُرِقت في هذا الحوار هي قاعدة الكم، لأن الكلام قد تجاوز الحدّ المطلوب فلم يكن على قَدْرِ المعلومات المطلوبة.

ومن الشواهد الأخرى التي وردتْ حول ما يخصّ النبر السياقي هو ما دار من حوارٍ لـ (رابطة البهرية) في رثاء أخيها.

" وقالت رابطة البهرية[٢٤] ترثي أخاها، وقتلتهُ هُذيلٌ:

"كانت هُذَيْلُ تمنَّى قَتْلَهُ سَلِماً ... فقد أُجِيبَتْ فَلا تَعْجَبْ أَمانِيها

حُلْوٌ ومُرٌّ جَميعُ الأَمرِ مُجتمِعٌ ... مَأوى أَرامِلَ لم تعصف عَفاريْها" [٢٥]

الحوار: هو الأبيات الشعرية بأكملها.

فالسياق الوارد هنا يؤكد بأنَّ المتكلم هي رابطة البهريّة، ولا يوجد في الكلام من ضميرٍ يشير إليها، و المخاطب هو أَخوها ، والضمير الذي يشير إليه هو(الهاء) في (قتلتهُ)، أما القصد التواصلي فجاء دالاً على رغبة هُذيل بقتل أخيها وهو برئ وهذا أمرٌ عجيبٌ؛ لأنه لا ذنب له ، ومع ذلك فقد تحقق لها ما تريد ،إذ تمكنت هذهِ القبيلة من قضاء حاجتها بالقتل، فلا نستغرب لفعلها، فـ (رابطة البهرية) رثت أَخاها، بأنه

يتسابق إلى مسكن الأرامل ويقدم إليهم العفاري[٢٦]، فخيره غير منقطع ومستمرٌ بالعطاء، فهو يقدم إليهم المساعدة قبل مجيئهن إليه. إن المعنى الصريح لهذا الحوار يتكون من المحتوى القضوي الناتج من ضمّ المفردات بعضها إلى بعض(كانت هذيل تمنى قتله سلماً) و(حلوٌ ومرٌ جميع الأمر مجتمعٌ)،ومن القوة الإنجازية الحرفية المتمثلة بصيغة الإخبار. أما المعنى الضمني فيتألف من الاقتضاء والاستلزام الحواري، فالاقتضاء (هو اقتضاء مدّ اليد وبسطها إلى من هم بحاجةٍ إليها).

أما الاستلزام الحواري فهو من اقتدى وجوده في هذا الحوار بأسلوب النبر في كلمة (سَلِمًا)، فالنبر فيها يكون على اللام وهي بمعنى (برئ)، أما إذا قمنا بالنبر على الميم نحو (سَلْ مَنْ) فتكون بمعنى (السؤال)، فهنا يحدث التباس في المعنى بعدةِ أمور، منها: التباس الكلمة بالجملة، فالكلمة هي (سلماً) وهي اسم ، والجملة (سَلْ مَنْ) فتتكون من (سَلْ) فعل أمر من سأل و(مَنْ) اسم موصول في محل نصب مفعول به ، ويحدث الالتباس، بالمعنى في المعرب والمبني، فالمعرب كلمة (سَلِماً)، والمبني كلمة (سَلْ مَنْ)؛لأنَّ فعل الأمر مبني والاسم الموصول مبني أيضاً.

فتحقق الاستلزام الحواري عن طريق إنحراف المعنى من معنى (البراءة) إلى معنى (السؤال)، فالنبر هنا أظهر قصد الحوار المتمثل بإسراع أخيها في تقديم العون والمساعدة إلى الأرامل، فالقاعدة التي تم خرقها في هذا الحوار هي قاعدة الكيف، لأنَّ الحوار يتسم بالواقعية وعدم المبالغة فيه.

ومن الشواهد الأُخر التي ورد فيها النبر السياقي هو ما دار من حوار لإعرابية في الغُربةِ.

" ألا أيُّها الرَّكبُ اليَمانُون عَرّجُوا عَلَيْنا فَقَدْ أضْحى هَوانا يَمانِيا
نُسائِلُكم هَلْ سَالَ نُعمانُ بَعْدَنا وحُبَّ إلينا بطْنُ نُعمانَ وَاديا
فإنَّ بهِ ظلاً ظليلاً ومَشْرباً بِهِ نُقِعَ القَلْبُ الّذي كَانَ صَادِيا " [٢٧]

الحوار هو:

نُسائِلُكم هَلْ سَالَ نُعمانُ بَعْدَنا وحُبَّ إلينا بطْنُ نُعمانَ وَاديا
فإنَّ بهِ ظِلاً ظَليلاً ومَشْرباً بِهِ نُقِعَ القَلْبُ الّذي كَانَ صَادِيا

عند قراءة الحوار الوارد أمامنا يتبين لنا بأنَّ المتكلم هي الأعرابية، والضمير الذي يشير إليها هو (نا) في (علينا، هوانا، بعدنا، إلينا) ، والمخاطب هم الركب اليمانون، والضمير الذي

يشير إليهم هو (الكاف) في (نسائلكم) ،وأما القصد التواصلي فجاء دالاً على افتتاح كلام الأعرابية عن الركب اليمانين، بأنهم إذا مالوا في طريقهم إلينا يظهر لهم العشق اليماني، فهي تطغي في السؤال عن وادي النعمان، بأنَّ الله سبحانه وتعالى قد حبب إلينا وادي نعمان؛ لأنَّ به ظلًا دائمًا، وموضع يرتوي منه القلب المتعطش.

إن الدلالة الصريحة لهذا الحوار تتألف من المحتوى القضوي الناتج من ضمّ العبارات(نسائلكم هل سال نعمان بعدنا) و(فإن به ظلاً ظليلاً ومشرباً)بعضها إلى بعض ، ومن القوة الإنجازية الحرفية المتمثلة بصيغة الاستفهام (هل). وتشكلت الدلالة الضمنية لهذا الحوار من الاقتضاء والاستلزام الحواري، فالاقتضاء هو السؤال عن أمرٍ ما يكون القلبُ متلهفاً لسماعه والارتواء به .

أما الاستلزام الحواري فهو مَنْ تمثل بيانه في هذا الحوار بأسلوب النبر، في كلمة (نسائلكم)، فإذا نبرنا على الهمزة كانت بمعنى (السؤال)، وأما إذا لم نقمْ بالنبر على الهمزة فكانت بمعنى (الإساءة)؛ لأنها تتمثل بكلمة (وساء لكم)، وهنا يحدث التباس من جهة الضمير الذي محله النصب على المفعولية بما محلّه الجرِّ، فتحقق الاستلزام الحواري عن طريق انحراف المعنى من معنى (السؤال) إلى معنى (الإساءة) ، فعدّ النبر من أهم الآليات التي تضمنتها القصدية لإظهار غرض الحوار، الذي يتمثل بأَن وادي نعمان كان دائمًا في ميلهِ وهواه بالعشق اليماني، فالقاعدة التي تمّ خرقها في هذا الحوار هي قاعدة الكيف، لكون الحوار كان مؤكداً على وضوح كلام الأعرابية في ما يخص وادي النعمان.

-التنغيم

أما التنغيم فيراد به " جرس الكلمة وحسن الصوت في القراءة وغيرها " [٢٨].

وعُرِّف بأنه" ارتفاع الصوت وانخفاضه اثناء الكلام " [٢٩]،وله تعريفات أخرى فهو: " تتابعات مطردة من مختلف أنواع الدرجات الصوتية على جملة كاملةً أو أجزاء متتابعة، وهو وصفٌ للجمل وأَجزاء الجمل وليس للكلمات المختلفة المنعزلة " [٣٠].

فالتنغيم هو التلوين الموسيقي أو الإطار الصوتي الذي تقال به الجملة في السياق ويسمى موسيقى الكلام[٣١] ،والتنغيم تستعمله معظم اللغات بطريقة تميزية ، تفرق به بين المعاني ، إذ يمكن في معظم اللغات أن تغير الجملة من استفهام إلى خبر أو من خبر إلى توكيد أو تعجب، دون تغيير في شكل الكلمات المكونة[٣٢].

إذاً فالتنغيم ظاهرة صوتية تقوم بإعطاء الكلام حلية صوتية جميلة؛ لأنها تنشأ من التفاوت الحاصل في درجة الصوت وتوتره.

وأشار القدماء إلى هذه الظاهرة الصوتية لكنهم لم يستعملوا هذا المصطلح ،فابن جني(ت٣٩٢هـ) في كتابه الخصائص قال: " وذلك أن تكون في

مدح إنسان والثناء عليه فنقول كان والله رجلاً فتزيد في قوة اللفظ بالله في هذه الكلمة وتتكون من تمطيط اللام وإطالة الصوت بها أو عليها أي رجلاً فاضلاً أو شجاعاً أو كريماً أو نحو ذلك " [٣٣]، فالكلام الصادر من ابن جني فيه إشارات واضحة لظاهرة التنغيم ، ومعنى ذلك أنَّ القدماء تنبهوا إلى وجود هذهِ الظاهرة لما لها من أهمية كبيرة في تحديد المعنى وبيانه.

ويسمى التنغيم لدى المحدثين بموسيقى الكلام، فجملة العرض أو الجملة الاستفهامية يكون فيها الهيكل التنغيمي مختلفاً عن الهيكل التنغيمي في جملة الإثبات وجملة التأكيد، فلكلَّ نوعٍ من هذه الجمل نغمةٌ خاصة به، ومعنى ذلك أن التنغيم يتألف من أصوات منغمةٍ تكون دالةً على شيء معين[٣٤].

-أنماط التنغيم :-

صنَّف الدكتور تمّام حسّان أنماط التنغيم على صنفين: تمثل الأول بالنغمة الهابطة وهي النغمة المتمثلة بوجود انخفاض في نهايتها. وتمثل الثاني بالنغمة الصاعدة وهي النغمة المراد بها وجود ارتفاع في نهايتها[٣٥].

وأُضيف نوعٌ آخر من النغمات سُمِيَ بالنغمة المستوية ويراد بها " عدد المقاطع تكون درجاتها متحدة سواء أكانت منخفضة أم عالية أم متوسطة " [٣٦].

وإن لظاهرة التنغيم أهميةً كبيرةً ، والسبب في ذلك ما وُضِحَ في البيان والتبيّن بأَن "الصوت آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف ولن تكون حركات اللسان لفظاً ولا كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف وحسن الإشارة باليد والرأس، ومن حسن البيان باللسان مع الذي يكون مع الإشارة من الدل والشكل والتفتل والتثني " [٣٧].

ونبه الجاحظ (ت٢٥٥هـ)إلى أهمية الفعل الكلامي المرتبط بالجرس الصوتي ارتباطا وثيقاً وكان هذا إشارةً واضحةً إلى أهمية التنغيم تبعاً للسياق الذي يكون فيه المتكلِّم.

فالتنغيم لهُ أثرٌ كبيرٌ في تنويع درجة الصوت بارتفاعه وانخفاضه فضلاً على إظهار القيمة الدلالية للأفعال الكلامية لأن الحدث الكلاميّ لا يعرف وجوداً ولا تجلياً إلا في الصوت، فالنغمة الصوتية أصل في اللغة المنطوقة، واللغة المنطوقة أصل في اللغة[٣٨] .

ومن الشواهد التي ورد فيها التنغيم في كتاب بلاغات النساء هي قصة أمُّ معبد[٣٩]في وصفها النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم)وبلاغتها في وصفه.

" **فنظر رسول الله** (صلى الله عليه واله وسلم) **إلى شاهٍ في كِسرِ الخيمةِ، فقال: ما هذهِ يا أمَّ معبد؟ قالت: شاةٌ خلفها الجهدُ عن الغَنَم، قالَ: هل بها من لبنٍ؟ قالَتْ: هي أجهدُ من ذلك، قال: أتأذنينَ لي أن أحلبَها؟ قالتْ: بأبي وأمِّي أنتَ! نَعَمْ إنْ رأيتَ بها من حَلْبٍ فأحلبها** " [٤٠].

الحوار: هو النص المذكور سابقاً.

فالحوار المذكور آنفاً يدور بين أم معبد والرسول (صلى الله عليه واله وسلم)بشأن بلاغتها في وصف شاة قد اخلفها التعب.

ويضمُّ سياق الكلام في هذا الحوار كلّ من (المتكلم ،والمخاطب ، والقصد التواصلي)،فالمتكلم هو الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه واله وسلم)،والضمير الذي يشير إليه هو (الياء) في (لي)،والضمير المستتر المقدر(أنا) في(أحلبها)،والمخاطب هي أم معبد، والضمير الذي يشير إليها هو الضمير المستتر المقدر (أَنتِ) في (أَتأَذنين)، أَما القصد التواصلي فيكون دالاً على الشاة التي تكاد تخلو من اللبن لكونها متعبة.

إنَّ المعنى الصريح لهذا الحوار يتكون من المحتوى القضوي الناتج من ضمِّ المفردات بعضها ببعض نحو (بأَبي، وأَمي، أَنتَ، نعم، إن، رأَيت، بها، من، حلبٍ، فأَحلبها)،ومن القوة الإنجازية الحرفية المتمثلة بصيغة الإخبار.

ويتشكل المعنى الضمني لهذا الحوار من الاقتضاء والاستلزام الحواري، فالاقتضاء (اقتضاء وجود شاة ليست بذي قوة).

أَمَّاالاستلزام الحواري فهو من تمثل بيانه في هذا الحوار بأسلوب التنغيم ولكن بمستويات مختلفة (النغمة الصاعدة، والنغمة الهابطة، والنغمة المستوية).

فالنغمة الصاعدة وردتْ في جملة (هل بها من لبنٍ؟)،و (أَتأذنين لي أَن أَحلبها؟)، فكانت النغمة هنا بمعنى السؤال فهي جملة استفهامية .

وجاءت النغمة الهابطة في جملة (هي أَجهد من ذلك) و (إنْ رأَيت بها من حَلَبٍ فأَحلبها)،فالنغمة هنا كانت حاملة لمعنى الوصف فهي جملة تقريرية .

فالاستلزام الحواري قد تمثل بانحراف المعنى من (السؤال) إلى (الوصف)،فهذهِ المستويات المتنوعة لأسلوب التنغيم لم تكن إلا لقصدٍ بعينه كما بيناه آنفاً وهي كون الشاة متعبة فهنا خرق لقاعدة الكم ،لأن الإجابة لم تكن موجزة ب(نعم) وإنما كانت مطولة.

ومن الشواهد الأُخرى التي ورد فيها التنغيم هو ما دار من حوارٍ لزينب بنت علي(عليها السلام).

" **حدّثني أَحمدُ بن جعفر بن سليمان الهاشمي قال: كانت زينبُ بنت عليٍّ تقول: مَنْ أَراد أَنْ يكون الخلْقُ شفعاءَه إلى الله فليحمدْهُ، أَلم تسمعْ إلى قولهم: سمعَ الله لِمنْ حَمِدَهُ، فخَفِ الله لقُدرتهِ عليكَ، واسْتحِ منه لقربهِ منك** " [٤١].

الحوار: هو النص المذكور كاملاً.

والحوار يدور بين السيدة زينب (عليها السلام) وبين احمد بن جعفر حول وجوب الحمد لله سبحانه وتعالى.

ويبدو من سياق الكلام بأن المتكلم هي السيدة زينب (عليها السلام)، ولا يوجد في الكلام من

ضميرٍ يشير إليها، والمخاطب هو احمد بن جعفر والضمير الذي يشير إليه هو الضمير المستتر المقدر أَنتَ في (فخفِ، واستحِ،تسمع)، والكاف في (عليكَ، منكَ)، أَما القصد التواصلي فيكون دالاً على وجوب الحمد للهِ على عظمتهِ وقدرتهِ.

إنَّ المعنى الصريح لهذا الحوار يتألف من المحتوى القضوي الناتج من ضمّ المفردات بعضها ببعض نحو (سمع، الله، لمن، حمده، فخفِ، الله، لقدرتهِ، عليك، واستح، منه، لقربه، منك)، ومن القوة الإنجازية الحرفية المتمثلة بصغية الإخبار.

أَمَّا المعنى الضمني فيتأَلف من الاقتضاء والاستلزام الحواري، فالاقتضاء هو (اقتضاء وجود شخص يكون شاكراً لله).

أمّا الاستلزام الحواري فهو من تمثل وجوده في هذا الحوار بأسلوب التنغيم ولكن بمستويات مختلفة فمنها : فالنغمة الهابطة جاءت في جملة (مَنْ أراد أن يكون الخلقُ شفعاءه إلى الله فليحمدهُ)، فهذه النغمة فيها وصفٌ لقدرة الخالق ، فهي جملة تقريرية وشرطية.

وجاءت النغمة الصاعدة في جملة (فخف الله لقدرتِه عليكَ، واستحِ لقربهِ منك)،فالنغمة هنا قد وردت بمعنى الأمر، فهي جملة طلبية.

أمّا النغمة المستوية فجاءت في جملة (أَلم تسمع قولهم)، فجاءت هنا جملة إنكارية، لكون الاستفهام قد خرج إلى معنى الإنكار.

والاستلزام الحواري هو من تمثل وجوده بانحراف المعنى من الوصف إلى أسلوب الطلب ومن ثم الإنكار، فالتنغيم الوارد بهذهِ المستويات المتنوعة لم يكن إلا لغاية وقصدٍ بعينه كما بيناهُ سابقاً وهو وجوب الحمد لله، وهنا خرق لقاعدة الكم، لأن الكلام لم يكن على قدر المعلومات المطلوبة فتجاوز الحدّ المطلوب.

الخاتمة:

وأخيراً في نهاية كلّ دراسة لابُدّ للباحث من أن يتوصل إلى نتائج حول ما يخص أسلوبي النبر والتنغيم، ومن هذه النتائج هي:

-إنَّ منشيء النص يتحكم في طريقة نطق مفرداته داخل التركيب ،ليكون قاصداً ومريداً لكل الاجراء في نصه ،لأن وراء كل الاجراء غاية وهدف هي إيصال المعنى بدقة إلى المتلقي، فيعمد إلى النبر والتنغيم ، لأنه إحدى الآليات المساهمة في تحقيق التواصل ونقل الأفكار بوضوح إلى المتلقي.

-عمدت المرأة في حوارها إلى أسلوبي النبر والتنغيم لما لهما من تأثيرٍ كبيرٍ على المتكلّم؛ وذلك عن طريق التفاوت الحاصل في المقاطع الصوتية التي تؤكد وضوح المعنى وبيان قصد المتكلّم من الحوار.

-إنَّ الألفاظ والمفردات التي استعملتها المرأة في أسلوبي النبر والتنغيم جاءت حاملةً لمعانٍ صريحةٍ وأُخرى ضمنية

–ورد أسلوبا النبر والتنغيم بكثرة في كتاب بلاغات النساء ، إذ استطاعت عن طريقه المرأة أن تخلق جواً يسعى إلى تغيير الدلالة من المعنى المباشر إلى المعنى غير المباشر.

الهوامش:

(١) آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر،محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية مصر،٢٠٠٢م:٣٣.

(٢) الأعلام لخير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت– لبنان،ط١٥، ٢٠٠٢م:١/١٤١.

(٣) ظ:الفهرست ، محمد بن إسحاق بن يعقوب النديم البغدادي المعروف بالوراق (٣٨٥–٩٩٥م)، دار المعرفة ، بيروت،١٩٧٨م:١٦٣.

(٤) ظ: معجم الأدباء ياقوت الحموي البغدادي،ط١،دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١م:١/٣٩٠.

(٥) الفهرست:٢٠٩.

٦) معجم مقاييس اللغة : ٥/٣٨٠ (نبر).

٧) لسان العرب: ٥/١٨٩، (نبر).

٨) فن الكلام ، د .كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (د. ط) ، ٢٠٠٣م: ٢٥٥.

٩) مناهج البحث في اللغة ، د .تمّام حسّان، ط٢،دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م: ١٦٠.

١٠) ظ: النبر في اللغة العربية، مفهومهِ، قواعد حدوثه لمحمد بو لخطوط– باحث دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد الصديق بن يحيى بن جيجل الجزائر: ٢٥٣، ومناهج البحث في اللغة: ١٦٠.

١١) التنوعات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط١، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م: ١٢٥.

)١٢ النبر في العربية (مناقشة للمفاهيم النظرية ودراسة اكوستيكية في القرآن)، خالد عبد الحليم العبسي، ط١،عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ١٤٣٢هـ– ٢٠١١م: ٣٦.

١٣) أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة، فوزي الشايب،ط١ ،عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد – الاردن، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م: ١٥٩.

١٤) ظ: مناهج البحث في اللغة:١٩٥–١٩٨.

١٥) ظ : م . ن: ١٩٥ – ١٩٨ .

١٦)ظ: م. ن:١٩٥–١٩٨.

١٧) ظ: الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس، مكتبة نهضة مصر، مصر، (د .ط) ، (د . س) : ١٧٤.

)١٨ مناهج البحث في اللغة: ١٦٣.

)١٩ بلاغات النساء: ١٥٥.

)٢٠ يميرُ : يغيرُ ، ظ : المخصص ، ابو الحسن علي بن اسماعيل بن سيده المرسي (ت٤٥٨هـ) ، تح : خليل ابراهيم جفال ،ط١، دار احياء التراث العربي ، بيروت، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م : ٤/٢٧٧ .

)٢١ حيس : الخلط ، ومنه سمي الحَيْسُ ، ظ : لسان العرب : ٦/٦١ .

٢٢) هجير : الاحسن ، ظ : م . ن : ٥ /٢٥٣ .

٢٣) قرّى، ما قُرِي به الضيف، ظ:الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ٦/٢٤٦١ (قرى).

٢٤) رابطة البهرية وهي شاعرة من شواعر العرب،ظ : أعلام النساء، عمر رضا كحاله، بيروت : ١/٤٢٩.

٢٥) بلاغات النساء: ٢٦٤.

٢٦)عفاريها: وهو لحمٌ يجفف على الرمل في الشمس، وتعفيره: تجفيفه كذلك، ظ : لسان العرب : ٤/٥٨٩ (عفر).

٢٧) بلاغات النساء: ٢٥٩.

)٢٨ لسان العرب: ١٢/٥٩٠ (نغم).

٢٩) مناهج البحث في اللغة: ١٦٤.

٣٠) دراسة الصوت اللغوي أحمد مختار عمر، عالم الكتب ، مصر، القاهرة، ١٣٩٦هـ– ١٩٧٦م: ١٩٤.

٣١) ظ : النحو السياق الصوتي ، أحمد كشك ، ط١ ، القاهرة ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٦: ٩٩ .

٣٢) ظ: دراسات في اللسانيات العربية ، عبد الحميد السيد ، ط١ ، دار الحامد للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٩ : ٥٢.

٣٣) الخصائص لابن جني، تح: محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٤،القاهرة ، ١٩٩٩م ، ٢ / ٣٧٤.

٣٤) ظ: الأصوات اللغوية: ١٢٣.

٣٥) ظ: مناهج البحث في اللغة : ١٩٨-١٩٩، وعلم الأصوات ، حسان البهنساوي ، ط١،مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، مصر ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م : ٥٣٤-٥٣٧.

)٣٦ علم الأصوات: ١٦٥.

٣٧) البيان والتبين، ابن عثمان بن بحر الجاحظ ، تح: عبد السلام محمد هارون ، ط٥،نشر مؤسس الخانجي ، القاهرة ، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م : ٧٩/١.

٣٨)ظ : دراسات في اللسانيات العربية : ٥٣ - ٥٤ .

٣٩) أم معبد بنت كعب وهي امرأة من بني كعب من خزاعة، وقيل إن اسمها عاتكة بنت خلف بن معبد بن ربيعة بن أحصرم ، ولهذه المرأة من الولد نضرة ومعبد وحنبدة، ظ: السيرة النبوية، للإمام أبي محمد عبد الملك بن هشام ، ط١، المطبعة الخيرية،١٣٢٩هـ: ٣٣٧/٢.

٤٠) بلاغات النساء : ٦٠ ، ظ:وبحار الأنوار للعلامة محمد باقر المجلسي ، تح : عبد الرحيم الرباني الشيرازي، ط٢ ، مؤسسة الوفاء ، بيروت – لبنان ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م : ٤١/١٩ .

٤١) بلاغات النساء: ٥٧.

المصادر:

- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، دار المعرفة الجامعية ، مصر،٢٠٠٢م.
- أثر القوانين الصوتية في بناء الكلمة ، فوزي الشايب، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، اربد، الأردن،ط١، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- الأصوات اللغوية : إبراهيم أنيس، مكتبة نهضة مصر، مصر،(د ط)،(د ت).
- الأعلام ،لخير الدين الزركلي، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ٢٠٠٢م.
- أعلام النساء، عمر رضا كحالة ، بيروت ، (د ط)،(د.ت)
- بحار الأنوار، للعلامة محمد باقر المجلسي، تحقيق: عبد الرحيم الرباني الشيرازي، ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت ، لبنان،١٤٠٣ هـ -١٩٨٣م.
- البيان والتبيين ،لابن عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تح:عبد السلام محمد هارون، نشر مؤسس الخانجي، القاهرة، ط٥، ١٣٨٨ هـ -١٩٦٨م.
- التنوعات اللغوية، عبد القادر عبد الجليل،دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن،ط١، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- الخصائص لابن جني، تح: محمد علي مختار، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط٤،القاهرة، ١٩٩٩م.
- دراسات في اللسانيات العربية، عبد الحميد السيد، ط١،دار الحامد للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٩م.
- دراسة الصوت اللغوي، احمد مختار عمر، عالم الكتب، مصر،القاهرة،١٣٩٦ هـ -١٩٧٦م.

- السيرة النبوية، للإمام أبي محمد عبد الملك بن هشام، ط١، المطبعة الخيرية،١٣٢٩ هـ.
- الصحاح وتاج اللغة وصحاح العربية ،لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت٣٩٣ هـ)، تح: احمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ٤، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- علم الأصوات ، حسان البهنساوي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، مصر، ط١، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤م.
- فن الكلام، د.كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، (د.ط)،٢٠٠٣م.
- الفهرست ، محمد بن إسحاق بن يعقوب النديم البغدادي المعروف بالوراق (٣٨٥ هـ -٩٩٥م)، دار المعرفة (بيروت:١٩٧٨م).
- لسان العرب ،محمد بن مكرم بن علي بن منظور (ت٧١١ هـ)،دار صادر، بيروت،ط٣، ١٤١٤ هـ .
- المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي،(ت٤٥٨ هـ)، تح:خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط١، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦م.
- معجم الأُدباء ،ياقوت الحموي البغدادي(ت٦٢٦ هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت،١٩٩١م.
- مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي ،أبو الحسن (ت٣٩٥ هـ)،تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د.ط)،١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.
- مناهج البحث في اللغة ، د.تمّام حسّان، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط٢، ١٣٤٩هـ – ١٩٧٤م.
- النبر في العربية (مناقشة للمفاهيم النظرية ودراسة أكوستيكية في القرآن)، خالد عبد الحليم العبسي، عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع، اربد، ط١، ١٤٣٢ هـ -٢٠١١م.
- النبر في اللغة العربية، مفهومه، قواعد حدوثه لمحمد بو لخطوط –باحث دكتوراه، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد الصديق بن يحيى بن جيجل الجزائر.
- النحو والسياق الصوتي، أحمد كشك، ط١، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع،٢٠٠٦م.